خدمة الإذاعة العربية

برنامج أنوار كاشفة **سفرالجامعة** **الحلقة السابعة**

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكدّ أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

وفي اللقاء الماضي قارن سليمان الحكيم بين الحكمة والجهل، فوجد أن للحكمة منفعة أكثر من الجهل، كالنور بالنسبة للظلمة. وبما أن الموت هو مصير كل من الحكيم والجاهل، عاد وكرر القول: « **الكل باطل وقبض الريح».** لكن علمنا أن المخلص المسيح هو الذي أبطل الموت، وفتح أبواب الخلود لكل من يؤمن.

مستمعي الكريم، هل فكّرت مرة بماذا سيحدث لكل انجازاتك وأعمالك بعد أن تغادر هذه الحياة؟ وماذا سيكون موقف الذين يأتون من بعدك؟ هل سيحافظون على ما أنجزته أم سيدمرونه بسبب جهلهم وكسلهم؟ هذا ما راود أيضاً سليمان الحكيم، فبعد أن تحدّث عن الموت، تابع قائلاً: **« فكرهتُ كل تعبي الذي تعبت فيه تحت الشمس، حيث أتركه للإنسان الذي يكون بعدي. ومن يعلم: هل يكون حكيماً أو جاهلاً. ويستولي على كل تعبي الذي تعبتُ فيه وأظهرت فيه حكمتي تحت الشمس. هذا أيضاً باطلٌ»** (الجامعة٢:١٨-١٩).

أليس أمراً محزناً فعلاً أن يأتي بعد أن نذهب من هذه الحياة، من لا يعبأ بكل ما أنجزناه، وبكل ما أتخذناه من قرارات حكيمة؟ فنحن الذين بذلنا الجهد لكي نؤسس لأنفسنا ولعائلتنا حياة كريمة، وسهرنا الليالي وتعبنا لكي نصل إلى القرارات الحكيمة. فما هو مصير كل ذلك يا تُرى؟ إننا لا نعلم من سيأتي بعدنا. هل سيكون مجتهداً وحكيماً مثلنا؟ فيحافظ على كل ما ورّثناه إياه لا بل ينجز المزيد؟ أم سيكون إنساناً جاهلاً كسولاً يدمّر ما حصل عليه؟ هذا بالضبط ما تحدّث به سليمان الحكيم، وجعله يفشل من كل تعبه وحكمته، وعاد ليكرر القول: **«هذا أيضاً باطلٌ».**

أليس هذا ما يحصل في عالمنا ومجتمعاتنا يا صديقي؟ فكم من أب تعب وبذل الجهد وورّث أولاده الكثير، فإذا بهم يخذلونه وينفقون ما ورّثه إياهم على ملذّاتهم، ويبعثرون ما حصلوا عليه هنا وهناك. لعلّ السؤال الآن هو: هل يحق لهذا الوالد أن يتساءل ما نفع الجهد الذي بذلته؟ والحكمة التي أظهرتها؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

مستمعي الكريم، هناك مشكلة أخرى عرضها سليمان الحكيم، إذ كتب قائلاً: **« فتحولتُ وأسلمتُ قلبي لليأس من كل ما بذلته من جهد تحت الشمس. إذ قد يترك الإنسان كل ما تعب فيه بحكمة ومعرفة وحذاقة لرجل آخر يتمتع بما لم يشق به. هذا أيضاً باطل وشرٌّ عظيم»** (الجامعة٢:٢٠و٢١ الترجمة التفسيرية). إن السؤال الذي طرحه سليمان الحكيم وحيّره هو: كيف يمكن لإنسان بذل جهداً أن يترك انجازاته لكي يتمتع بها الآخرون الذين لم يتعبوا بها؟ لكن أليس هذا التفكير نوعاً من الأنانية؟ إن عظمة الإنسان تكون بمقدار ما يعطي الآخرين، ويساهم في تقدّمهم وتطورهم. أو ليس هذا ما تعلّمنا إياه الحياة؟

وهنا نتساءل: كيف قامت الحضارات البشرية واستمرّت؟ وكيف وصل عالمنا اليوم إلى كل هذه الإنجازات الباهرة؟ ألم يحصل كل ذلك بسبب الذين سبقونا وتعبوا في أعمالهم واختراعاتهم؟ أو لم نستفد نحن أبناء القرن الواحد والعشرين من كل انجازاتهم؟ فهل يحق لسليمان الحكيم أن يطرح هكذا تساؤل؟ وما الخطأ في أن يتمتع إنسان بما أنجزه الآباء وتعبوا فيه؟ أو ليس على هذا الأساس استمرت الحضارات البشرية؟ إن الحكيم هو من ينظر إلى الأمام، إلى المستقبل، ويخطط له. بينما الجاهل هو من ينظر فقط إلى اللحظة التي يعيشها.

هذا لا يعني أن الحكيم يضمن المستقبل، لأن لا أحد يعلم ماذا يكون عليه، فالمخاطر موجودة دائماً. وهنا يمكننا القول أنه كان من الخطأ أن يدعونا سليمان الحكيم هنا إلى القنوط واليأس، لإن في ذلك جنوحاً نحو الأنانية. بينما كان الأجدر به أن يشجعنا على بناء المستقبل للأجيال القادمة، حتى لو لم يكونوا أمناء.

وختم سليمان الحكيم هذا المقطع قائلاً: **« لأنه ماذا للإنسان من كل تعبه ومن اجتهاد قلبه الذي تعب فيه تحت الشمس. لأن كل أيامه أحزان وعمله غمٌ. أيضاً بالليل لا يستريح قلبه. هذا أيضاً باطل هو»** (الجامعة٢:٢٢و٢٣). تحدّث سليمان الحكيم هنا عن تعب الإنسان في الحياة بشكل عام. وأن معظم أيامه حزن وغمٌ. حتى أنه بالليل عندما يخلد للراحة والنوم، لا يستريح قلبه أيضاً. ووصل إلى النتيجة نفسها: أن «**هذا أيضاً باطلٌ**».

وسبق للنبي موسى كليم الله أن تحدّث في صلاته كلاماً مشابهاً، إذ قال: **« أيام سنينا هي سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبليّة. لأنه تُقرض سريعاً فنطير.. إحصاء أيامنا هكذا علّمنا فنؤتى قلب حكمة»** (مزمور٩٠:١٠،١٢). هذه هي حقيقة الحياة التي يجب أن نعلمها جميعاً. لكن، هل الحياة هي هكذا فقط؟ أم أن هناك أمراً آخر

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

علينا أن نسعى إليه؟ تابع النبي موسى صلاته فقال: « **ارجع يا رب. حتى متى. وترأف على عبيدك. أشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا. فرّحنا كالأيام التي فيها أذللتنا كالسنين التي رأينا فيها شراً»** (مزمور ٩٠:١٣-١٥).

صحيح أن الحياة مليئة بالمتاعب والأحزان والهموم، لكن الله لن يتركنا إذا لجأنا إليه طالبين رحمته علينا. وهو سيجعلنا نتحمّل المتاعب، ونغلب الأحزان. ويُدخل الفرح والبهجة إلى حياتنا بالرغم من هذه المتاعب والآلام. أي يصبح لحياتنا معنى، ولا تعود كما قال سليمان الحكيم باطلة وبغير فائدة. أجل مستمعي، إن الله لم يترك الإنسان وشأنه، لكي يعاني في هذه الحياة، بل أرسل له المخلص المسيح، لكي ينقذه ويجعل لحياته معنى وفائدة. وها هو المسيح يصرّح قائلاً: **« وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل. أنا هو الراعي الصالح»** (بشارة يوحنا ١٠:١٠ب-١١أ).

فهل تود مستمعي الحصول على هذه الحياة الفضلى؟ وأن تكون لحياتك معنى؟ إن المخلص المسيح هو الراعي الصالح الذي بذل نفسه على الصليب من أجلك. وهو الوحيد القادر على إنقاذك وإدخال الفرح والبهجة إلى حياتك، بالرغم من كل المتاعب والآلام. فهل تُراك تتوب وتؤمن بهذا المخلص الفريد؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service